الأستاذ أحمد راتب النفاخ
في ذمة الله

الدكتور إحسان النص

فقد مجمع اللغة العربية بدمشق عضواً بارزاً من أعضائه العاملين هو المرحوم الأستاذ أحمد راتب النفاخ الذي اختاره الله لجواره صبيحة يوم الجمعة الحادي عشر من شعبان ١٤١٢هـ الموافق للرابع عشر من شباط ١٩٩٢م ، فأثار فقده عميق الأسى والحسرة في نفوس ذويه وزملائه وأصدقائه وطلابه . تغمده الله بفيض رحمته وجعل مثواه جنان الخلد .

لقد فقد مجمعنا بفقده ركناً من أركانه الوطيدة ، وفقدت الأمة العربية باحثاً محققاً قل نظراؤه في أقطار الوطن العربي .

كان الفقيد قمة شامخة من قمم البحث العلمي ، وكان بحراً فياضاً في مجال الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية وكل ما يتصل بالتراث العربي الإسلامي ، نهل من معينه الثرّ المئات من الباحثين واغترف من مورده الآلاف من الطلاب من أبناء العروبة الذين قرؤوا عليه في الجامعة .

كان الفقيد لا يضن بما لديه على طالب علم يقصده للاستنارة برأيه وتوجيهه ، ينفق الساعات الطوال في مراجعة ما أشكل أمره على أصدقائه وطلابه من عويص المعضلات اللغوية والأدبية والنحوية . كان أبذل الناس لما عنده ، يسخو بعلمه وكتبه ووقته على قاصديه ، لا يضيق بمهمة تناط به أو ببحث يكلف مراجعته ، جليسه الدائم كتاب الله والكتب التي تحفل بها مكتبته الزاخرة بأمهات المراجع وعيون التراث ، وكان بيته مقصد طالبي المعرفة والعلماء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولد الفقيد الكريم سنة سبع وعشرين وتسعمئة وألف بمدينة دمشق ، وهو سليل أسرة تنقلت بين حوران وبعلبك لتستقر آخر الأمر بدمشق ، وتلقّى دروسه الابتدائية والثانوية والجامعية فيها ، ولما حصل على الإجازة في الآداب عام خمسين وتسعمئة وألف عيّن أستاذاً للعربية في إحدى ثانويات مدينة درعا . وبعد ثلاث سنوات عيّن في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق . (كلية الآداب) لتدريس العربية ، فنهض بهذه المهمة على خير وجه وتخرّج به كثيرون ، ثم أوفد إلى جامعة القاهرة لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه فحصل على الماجستير عام ثمانية وخمسين وتسعمئة وألف ، وكان موضوع رسالته دراسة حياة الشاعر ابن الدمينة وشعره وتحقيق ديوانه . ثم سجل موضوع رسالة الدكتوراه في القراءات وأنجز الجانب الكبير منها ، ولم يكن بينه وبين نيلها إلا استيفاء بعض جوانبها ، ولكن أمراً ما دفع راتباً إلى الإحجام عن إنجازها والرجوع إلى دمشق لمعاودة التدريس في جامعتها ، فخسر البحث العلمي بذلك دراسة متعمقة في القراءات القرآنية لا يقوى على النهوض بها إلا أولو العزم والكفاية من العلماء ، ولم يكن همّ الفقيد الحصول على الألقاب العلمية والتباهي بها بل كان زاهداً في ذلك كل الزهد ، وهمّه إنما هو في تحصيل العلم الصحيح ليس غير .

لم يكن الفقيد ممن يتعجلون في إنجاز بحوثهم وإنما كان يؤثر الأناة والرويّة وإمعان النظر ، وطبيعته المتأنية المدققة هذه هي التي حملته على التريث في إنجاز رسالة الدكتوراه ، وهي تفسر كذلك عدم إقدامه على تأليف الكثير من الكتب والدراسات واكتفائه بالقليل الذي يطمئن إلى صحته وسلامته من المآخذ والهنات . وقد عني بالتحقيق فجاء صنيعه غاية في دقة الضبط ، وقد قام بتحقيق كتابين أولهما ديوان ابن الدمينة ، والثاني كتاب « القوافي » للأخفش .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن آثاره صنع فهرس لشواهد سيبويه ، وقد يسّر بهذا الفهرس السبيل على الناظرين في كتاب سيبويه ، وعني الفقيد كذلك بجمع مختارات من الشعر الجاهلي وضعها بين أيدي طلابه في الجامعة ، واختياره ينمّ عن تذوق لعيون الشعر الجاهلي وخبرة وافية بدقائق معانيه .

وإلى ذلك عني الفقيد بنقد بعض ما نشره المحققون من كتب التراث ، إيدفعه إلى ذلك غيرته الشديدة على التراث ، وحرصه على عدم العبث به ، وكانت هذه الغيرة وذاك الحرص ربما دفعاه إلى أن يعنف أحياناً في نقده ، وعذره في ذلك نظرته المثالية إلى تحقيق التراث الذي ينبغي أن يكون عنده بريئاً من آفات التصحيف والتحريف ، وإلى المحقق الذي ينبغي أن يكون عنده مستوفياً عدة البحث والتحقيق ، متأنياً في عمله ، طويل النفس في تقصي مظان البحث وموارد التحقيق . وقد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق وفي غيرها من المجلات نقداً حول تحقيق طائفة من كتب التراث المنشورة ، ومنها : « رسالة الغفران » للمعري ، و« المحتسب » لابن جنّي ، و« القوافي » للأخفش ، و« إعراب القرآن » المنسوب للزجاج . وقد ردّ إلى الصواب ما وقع فيه محققو هذه الكتب من أخطاء التصحيف والتحريف وشرح المعاني وغيرها .

وفضلاً عن إسهام الفقيد في تحقيق كتب التراث ونقد ما ينشر منها ، كان له مشاركته البارزة في أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق ، سواء في تقويم البحوث التي ترسل إلى المجمع لنشرها في مجلته أو في معالجة المشكلات التي تعرض في جلساته ، وكان – رحمه الله – يبذل من الجهد في قراءة بحوث المجلة وتقويمها ما يوهي قوى أولي العزم .

وللفقيد أصدقاؤه من كبار العلماء والباحثين في شتى أقطار العروبة والإسلام ، وكلهم عرفوا له مكانته العلمية ورسوخ قدمه في علوم العربية والدراسات الإسلامية والقرآنية ، فالخسارة بفقده جسيمة لا تعوّض ، والله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نسأل أن يتغمده بشآبيب رحمته ، ولئن قل لبثه في هذه الدنيا الفانية ، لمقامه في جنة الخلد التي ندعو الله أن يجعلها مثواه أبقى وأخلد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net